تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

كنائس لبنان القديمة (تتمة)

بقي علينا ان نذكر القسم الثالث من الكنائس المارونيّة اعني دار الكنيسة او صحنها. فكانت هذه الدار خاليةً في دائرها من الكراسي التي ترى في الكنائس اليونانيّة. وقد بيّن الدويهيّ سبب ذلك قال (راجع منارة الاقداس ١: ١٢١): «اباؤنا اصحاب الكرسيّ الانطاكي اهملوا نصب الكراسيّ واوجبوا على نفوسهم ان يصلّوا وهم قيام كقول الرب: اذا قُمتم للصلاة قولوا ابانا الذي في السماوات... وقد اخبرتنا التواريخ عن تلاميذ ابينا المكرّم القديس مارون انّهم قضوا كل حياتهم منتصبين على اقدامهم ليلًا ونهارًا (١ وانقسموا جوقين امام الباب الملوكيّ... امّا الكهنة والشمامسة فيستندون الى العكّازات لمساعدة الجسد الضعيف ما خلا الرؤساء. فانّهم يجلسون على الكرسي للدرجة التي ارتفعوا اليها» وكان المؤمنون خصوصاً الضعفاء منهم يتّخذون ايضاً العكّازات كما روى ذلك الدويهيّ في محلّ آخر من كتاب المنارة (١: ٦٠، ٦١)

وكانت الدار المذكورة تشتمل على «القراءات والمنابر واجران المعموديّة واجران الماء المبارك والراتي وبيض النعام والنواقيس وما شاكل ذلك». امّا ترتيب كل هذه الاشياء فكان على هذا النمط»: تُقام اوّلًا قرّاءتان امام الدربزين من هنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلًا ونهارًا وعليها تُتلى الكتب المقدّسة وميامر

---

(١) ورد في التاريخ انّ صنفاً من النسّاك فرضوا على نفوسهم تقشّفاً ان يعيشوا طول حياتهم قياماً ندُعوا لذلك الرهبان المتصبين (Stationnaires) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكيّ (١: ١١٤٠). اشهرهم تلامذة مار مارون. (راجع تاودوريطوس: تاريخ الرهبان PP. GG. T. LXXXII, 1419, 1431) ومن هؤلاء النسّاك من جعل لهُ عموداً فصعد عليهِ كالقديس سمعان العمودي وغيره

الآباء وتكسارات الشهداء. (ثانياً) اما المنابر التي تُنصب في الدار فبعضهم يقيمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدرابزين لتقرأ عليها الرسائل والاناجيل والوعظ وزياح الميرون والشهداء وامثالها... (ثالثاً) يوضع في الدار جرن المعمودية. وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة الا من كان ابن النور. الا انهم ادخلوهُ الى الخزانة لانهُ هناك يُحفظ تابوت الرازات (اي الاسرار) كما ترى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بشراي (١. ويُعلَّق فوق الجرن تمثال حمامة دلالة على استقرار الروح القدس. ويُتَّخذ الجرن من الحجر. (رابعاً) توضع في الدار اجران لاجل الماء الذي باركهُ في الغطاس وفي تقديس البيعة وغيرهما. (خامساً) تعلق في الدار المراني المدوَّرة وبيض النعام». وهنا للدويهي بعض تفاسير ومزيَّة نُحيل القرَّاء الى مطالعتها في كتابهِ. ثم قال: «(سادساً) توضع النواقيس في الدار تنبيهاً للمؤمنين للاجتماع للصلاة»

يظهر مما سلف ان الشعب لم يجلس في الكنيسة على الكراسي وانهُ كان يحضر الاسرار منتصباً. لكن ذلك لم يصدّ المؤمنين عن الركوع. وللبطريرك العلامة الدويهي فصلٌ مطول (ص ٦١) يبحث فيهِ عن انواع السجود والركوع. على ان الجثوَّ على الركب كان معتبراً كضرب من التعبد والاماتة وانما الانتصاب هو هيئة المصلّين الرسمية في الرتب الطقسية

وتصادى القول ان الكنائس المارونية كانت تتفق مع الكنائس اليونانية (او بالاحرى مع اليونانية واللاتينية معاً) في الخواص العمومية ولها مع ذلك فوارز تفصلها عما سواها بحيث يحكم صاحب الخبرة اذا رأى ما سبق لنا وصفهُ من طرائق بناء البيع وانواع هندستها الخارجة وتنظيم اقسامها ونقوشها. أن للموارنة في سالف الزمان هندسةً كنسيَّة خاصة بهم. وكنَّا وددنا لو لم يَحِدْ بناةُ الكنائس الحديثة لا سيَّما منذ مائتي سنة عن تقليد آبائهم القديم. ورغاية ما نتمنَّاهُ أن تُحفظ الآثار الباقية منها لئلَّا

---

١) وجاء في كتاب التكريسات (ص ٢٣) انهُ يُفتح حينئذٍ باب خارجيّ «حتَّى تدخل النساء وتخرج بالسترة»

يستولي عليها الخراب. وهذا ما حملنا على كتابة هذا الفصل في كنائس لبنان القديمة (١

وان سأل السائل في اي عهد شاعت في لبنان هذه الطريقة الهندسيَّة القديمة. أجبنا انَّ الامر لا يخلو من الغموض والشبهة. وما يمكننا قولهُ انَّ اكثر هذه البيع شُيِّدت قبل القرن الثالث عشر. وكان بناء بعضها في أيام الصليبيين على مثال كنيسة جُبيل. وهذا رأينا في كنيسة مار شربل في معاد وغيرها ايضاً من الكنائس كما رواه المؤرخ المدقق الدويهي حيث قال: (ص١٠٣) « وفي سنة ١١١٢ شرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس... وكان للخوري باسيل البشرّاني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرن العفَّة وانفقنَ جميع ما يمكن على بناء الكنائس. اما تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار دومط. وفي بشتين من ارض الزواية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول والثانية على اسم القديس سركيس الشهيد ثمَّ وقدت بالرب سنة ١١١٣. اما اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية بشرّاي. وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الحدث »

ويرتقي بعض الكنائس اللبنانيَّة الى عهد أسبق فمنها ما بُني القرن التاسع او الثامن ايضاً كبيعة كفر شاميان التي نعدُّها من اقدم كنائس لبنان. ومثلها كنيسة مار ماما في اهدن (راجع قول الدويهي فيها في المشرق ص ١٠٧٥). وليس قولنا هذا الَّا اجماليًّا. ولو اطَّلع احد المهندسين الخبيرين على هذه الابنية امكنهُ ان يزيدنا ايضاحاً في تعيين زمن بنائها

*

هذا وننتهز هنا الفرصة لتكرار ما اثبتناهُ في السنة الاولى من المشرق (ص ٢٦١) في مقالة حُرِّرت تحت عنوان: « هيَّا بنا على درس تاريخنا ». فكان من جملة البنود التي اقترحناها على جمعيَّة طلبتنا انشاءها في كلّ طائفة (ص ٢٨٣) « ان تعتني بخطّ الصور القديمة في الكنائس... وتهتمّ بحفظ هذه الكنائس نفسها »

فلم نرَ حتى الآن تشكيل لجنة تقوم بهذا المشروع ولعلَّهُ لم يفتكر احدٌ في تأليف

١) وهنا نكرّر طلبنا الى قرَّائنا بان يفيدونا علماً عن الكنائس التي لم نذكرها في هذه المقالة ولا بأس ان يستدركوا علينا في ما يرونهُ مخلًّا لصلاحهُ

هذه الشركات الطائفيَّة لتبرز الى حيز الوجود قسماً من هـذه المقترحات. اما العلماء الاوربيون فانهم تلقَّوا فكرنا في تنظيم مثـل هذه الجمعيَّات بما لا مزيد عليهِ من الرعاية والالتفات وهذا الامر باحد كبار المستشرقين الالمانيين وهو الدكتور ج. كيفماير الذي ذكرناهُ غير مرَّة في مجلَّتنا الى ان كتب فصلاً في « نشرة الآداب الشرقيَّة » (١ يستلفت فيهِ الانظار الى مقالتنا بل زاد على ذلك انهُ نقل الى الالمانيَّة هذه النبـذة وألحقها بملاحظات نورد منهـا شيئاً ليرى اهل بلادنا ما يبغي الاوربيُّون من الآمال على تأليف جمعيَّة كهذه. قال الدكتور ما تعريبهُ:

« لا حاجة ان نبيّن لقرائنا ما ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعيَّة تاريخيَّة في سوريَّة كما وصفها الاب لامنس. بل يأخذنا العجب من عدم انشائها حتى الان لاسيما انَّ بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيهـا الآثار التاريخيَّة الدفينة التي يتوق الى كشفها العلماء. فنحن نوافق كاتب هذه المقالة في ما اقترحهُ من انشاء مكتبة مركزيَّة في سوريَّة لدرس تاريخ البلد وهذه المكتبة لا بُدَّ ان تجمل فيها كل الكتب الاديبـة واللغويَّة والجغرافية التي تشتمل على احوال بلاد الشام وان يُلحق بها متحف للاثار الى غير ذلك من التنظيمات التي عدَّدها صاحب مقالة المشرق. ولا نشكُّ في ان الذين يبحثون عن شؤون البلاد الشامية يتهللون فرحاً اذا ما تحققت امانيّ حضرة الكاتب

« ونحن الاوربيون نبني آمالاً طيّبة على تنظيم جمعيَّـة تاريخيَّة يكون اعضاؤها شرقيين. لان ابناء الوطن يمكنهم ان ينالوا بزمن قليل ما لم ينلهُ الغرباء بعد الجهد الجهيد واذا تشكَّلت هذه الجمعية الوطنية بادرت الجمعيَّات الاوربية الى مكاتبتها فتقوى بذلك على اتمام مشروعات علمية ذات شأن خطير »

هـذه شهادة اثبتناها ليرى القراء ما للعلماء الاجانب من الكلف بامور الشرق. ويا ليتنا لا نتأخر عن تلبية دعوتهم فلا نخيب آمالهم فينا

وفي ختامنا هذه المقالة التي خصَّصناها بذكر الكنائس القديمة في لبنان كنَّا وددنا لو أمكننا ان نوصي هذه الجمعيات التي نطلب انشاءها منذ سنتين بالمحافظة على هذه المعابد القديمة قبل ان يستولي عليها الخراب. وعلى كلّ حال اننا نوجه دعوتنا الى ذوي

(١ راجع (Orientalis tische Litteratur-zeitumg

الامر طالبين اليهم ان يصونوا هذه الآثار ولا يدعوا يدًا اثيمة تصيبها باذًى . واذا مسّت الحاجة الى ذلك فليصلحوا منها ما خرب مع مراعاة هندستها القديمة . فان هذه كانت وصيّة المثلّث الرحمات البطريرك بولس مسعد الذي كان حريصًا على حفظ تلك المآثر الناطقة بمفاخر ملّته في غابر الازمان . على اننا نقرّ بكل سذاجة انّ معظم خوفنا من البُناة المحدثين الذين يتخيّلون ان هذه الابنية لا طائل تحتها فيخربونها لاتخاذ موادّها او لتجديدها كما يزعمون وهذه الطامّة الكبرى . فيا حبذا لو امكننا بما سطرناهُ في هذه المقالة عن كتائس لبنان ان نكفّ يد الدمار عن بقايا الزمن القديم فان اصبنا المرام لا نتأسف على الاتعاب التي تجشّمناها لهذه الغاية الشريفة

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

٣ الفوائد التي نالها العرب علومهم الفلكيّة

انّ الاوصاف السابقة لآلات العرب الرصديّة بيّنت للقرّاء ما لعلمائهم من الفضل في العلوم الفلكيّة . وكأنّي بسائلٍ يوقفني عند هذا الحدّ ليسأل وما هي النتائج التي توصّل اليها العرب بهذه الدروس التي انقطعوا اليها والى اي غاية بلغت سعة علومهم وهل تمكّنوا من اكتشاف شيء جديد كان يجهلهُ اسلافهم

جوابنا على هذا المطلوب لا يمكنهُ ان يكون تامًّا مستوفيًا ربما يكتشف العلماء كل ما كتبهُ العرب من هذا القبيل وان قابلنا بين الكتب التي تُصان الآن في الخزائن الكتبيّة وما ذكرهُ المؤرخون من تآليف العرب وجدنا انّ العدد المعروف لا يبلغ نصف المفقود . مع انّ الكتب التي تتضمنها المكاتب العموميّة لا سيّما باريس ولندرة وليدن والاسكوريال والقاهرة هي تصانيف واسعة في علم الفلك يلحق بها في الغالب ازياج وجداول حسابية غاية في الدقّة . مثال ذلك تآليف ابي الوفاء والبيروني والبتّاني والفرغاني ونصير الدين الطوسي وغيرهم

وعلاوةً على ذلك لاتخلو هذه التآليف المعروفة نفسها من مشاكل عديدة فانّ منها